مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 09العدد: 02 جوان (2025) ص 511 / 527

دور الدراسات البينية في توجيه الخطاب اللساني في كتاب "علم التخاطب الإسلامي" للدكتور محمد محمد يونس علي

The role of interdisciplinary studies in directing linguistic discourse in the book "Islamic Speech" by Dr. Muhammad Muhammad Yunus Ali

د. حسين عمر دراوشة

باحث في علوم اللغة العربية ومعارفها (فلسطين)

hussienomer328@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/ 03 / 29
تاريخ القبول:
2025/01 /13

الكلمات المفتاحية:
دور، الدراسات البينية، توجيه الخطاب اللساني، علم التخاطب

الملخص:

يدرس البحث دور الدراسات البينية في توجيه الخطاب اللساني في كتاب "علم التخاطب الإسلامي" للدكتور محمد محمد يونس علي، وذلك من خلال الحديث عن الكتاب وإلقاء نظرة عامة عليه، وبيان طبيعة الدراسات البينية وعلاقتها بالخطاب اللساني العربي، ومناقشة دور الدراسات البينية في توجيه الخطاب اللساني في الكتاب، واستجلاء آفاق الدراسات البينية في الكتاب بين التأصيل والتفعيل، وتبرز أهمية البحث في توثيق تجربة لسانية متقدمة تجمع بين المعطى التراثي والتوجيه الحداثي في الخطاب اللساني العربي من منظور منهجي واعي، وتوضيح ما سبق بالمنهج الوصفي واستحضار نماذج من أقوال المؤلف، ومن ثم خاتمة البحث وفيها النتائج والتوصيات والمقترحات وفهرس المصادر والمراجع.

Article info

Received
29/3/2023
Accepted
13/01/2025

Keywords:
role, interdisciplinary studies, guidance, linguistic discourse, speech science.

Abstract :

The research studies the role of inter-studies in directing the linguistic discourse in the book "Islamic Conversational Science" by Dr. Muhammad Muhammad Yunus Ali, by talking about the book and an overview of it, and clarifying the nature of the inter-studies and their relationship to the Arabic linguistic discourse, and discussing the role of inter-studies in directing The linguistic discourse in the book, and the elucidation of the horizons of inter-studies in the book between rooting and activation. Then the conclusion of the research, which includes the results, recommendations, suggestions, and an index of sources and references.

مقدمة:

تمثل اللسانيات توجهاً علمياً حداثياً تميّزت باستقلاليتها من ناحية المسمى والمضمون، واتّسعت تمثلاتها؛ لتشمل فروع العلم والمعرفة، فاجتهد علماء اللغة العربية المحدثين في التصنيف في مختلف مجالات اللسانيات كافةً، وتنوعت التوجهات واختلفت المصطلحات، وانتشرت الدراسات البينية بشكل كبير، فيشهد العصر الحديث إمكانات معرفية هائلة وأنتج تحديات متنوعة تتطلب فهماً عميقاً لإدارة المشهد التخصصي في ظل تداخل المعارف والعلوم والفنون والآداب وفساحة الميدان اللغوي للدراسات البينية، فاتّسمت مساعي الدراسات البينية في إنتاج توجهات تؤكد على تماسك المعرفة وتكاملها ووحدتها بين التخصصات العلمية والمعرفية؛ مما يوحي بالشبكات العلائقية بين التوجهات والآراء ووجهات النظر وفاعلية الرَّبط بينها في نظام معلوماتي في مختلف التخصصات، فيُؤدي ذلك إلى دقة المعالجة العلمية وفاعلية مخرجات البحث العلمي، وتحليل الظواهر، ووضع الحلول المناسبة للمشكِّلات والمعضلات، فاجتهد د. محمد محمد يونس في الاستفادة من الدراسات البينية في توجه اللسانيات العربية في كتابه "علم التخاطب الإسلامي"، فأمام هذا الطرح والتفكير برزت أفكار البحث ومحاوره .

أهداف البحث: الحديث عن تجربة د. محمد محمد يونس في الدراسات البينية والخطاب اللساني في كتابه "علم التخاطب الإسلامي، وبيان طبيعة الدراسات البينية وعلاقتها باللسانيات العربية، ومناقشة دور الدراسات البينية في توجيه الخطاب اللساني من خلال كتاب "علم التخاطب الإسلامي"، واستجلاء آفاق ما قدَّمه هذا الكتاب من تأصيل وتفعيل للمعطى اللساني العربي.

أهمية البحث: عرض تجربة جديدة في توظيف الدراسات البينية لخدمة الخطاب اللساني العربي في كتاب " علم التخاطب الإسلامي"، والكشف عند دور الدراسات البينية في تنمية الخطاب اللساني العربي، واستجلاء معالم الآفاق المعرفية للدراسات البينية وأثرها في إدارة المضمون اللساني العربي في كتاب " علم التخاطب الإسلامي" لمحمد محمد يونس علي.

منهج البحث: يتبع المنهج الوصفي القائم على الدراسة والتحليل من أجل استقراء موضوع البحث واستحضار نماذج من كتاب "علم التخاطب الإسلامي ."

الدراسات السابقة :

من الدراسات السابقة لموضوع البحث التي وقف عليها الباحث، تتمثل في :

-رسالة ماجستير بعنوان:" الجهود اللغوية عند محمد محمد يونس"، رونق سالم لطيف، جامعة ديالي، العراق 2021م .

بيّنت الدراسة تأثر د. محمد محمد يونس بعلماء التراث وبمعاصريه من أمثال د. تمام حسان، وتحدثت عن تناوله للقرائن النحوية والمشترك اللفظي والترادف والأضداد والمفهوم، وما ناقشه من مسائل تختص بالتخاطب ومستلزمات الخطاب .

-بحث بعنوان:" اللسانيات التمهيدية بين الكتابة العربية والكتابة المترجمة (كتاب مدخل إلى اللسانيات لمحمد محمد يونس علي، وكتاب مدخل إلى اللسانيات لبرتيل مالبرج، ترجمة: السيد عبد الظاهر أنموذجاً)"، سناء حمايدية، مجلة الآداب واللغات والعلوم والإنسانية، مجلد 4، عدد 7، جانفي، الجزائر 2021م.

اعتمد الباحث على المقارنة بين كتاب عربي والآخر مترجم، وتحدث عن الغاية التعليمية والكشف عمّا تحمله المضامين من وظائف دلالية وتداولية .

-بحث بعنوان:" الكتابة اللسانية التمهيدية وإشكالية المنهج- قراءة في كتاب مدخل إلى اللسانيات لمحمد يونس علي"، بسمة سيليني، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، مجلد4، عدد 7، جانفي، الجزائر 2021م.

تطرق إلى كتاب مدخل إلى اللسانيات لمحمد يونس علي موضوعات أساسية في الدراسات اللسانية الحديثة؛ لتبسيط المفاهيم اللسانية للقارئ العربي اللساني المبتدئ لغرض تعليمي ولاكتشاف معالم هذا الحقل .

-رسالة ماجستير بعنوان:" جهود محمد محمد يونس في صناعة مقاربة علمية في تحليل الخطاب – تحليل الخطاب وتجاوز المعنى أنموذجاً- دراسة تحليلية"، ويسام برجيحان سوعاد بوعمارة، جامعة عبد الرحمان ميرة، الجزائر 2018م.

تناولت الدراسة تحليل الخطاب من ناحية المفهوم والنشأة ومناهج ومقاربات تحليل الخطاب، ونحو نظرية المسالك والغايات، وتحليل نماذج تخاطبية وفق نظرية المسالك والغايات.

رسالة ماجستير بعنوان:" المصطلح اللساني عند محمد محمد يونس علي"، بوعافية غنية وبوالبكيز وسيلة، جامعة محمد الصديق بن يحي، الجزائر 2016م .

تحدثت عن ماهية المصطلح، والمصطلح اللساني، ومسرد المصطلحات اللسانية عند محمد يونس علي، والارتكاز في مادة البحث على كتاب "المعنى وظلال المعنى"، و"مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب"، و"مدخل إلى اللسانيات."

كتاب " الأبعاد التداولية عند الأصوليين- مدرسة النجف الحديثة أنموذجاً"، فضاء الحسناوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت 2016م.

الحديث عن رأي د. محمد محمد يونس علي في تعريفه لمصطلح التداولية تحت "علم التخاطب ."

كتاب "طرائق تعريب المصطلح وصناعة التعريف في الدرس اللساني العربي الحديث"، د. مختار درقاوي، دار الكتب العلمية، بيروت 2016م.

استعرض ما قاله د. محمد محمد يونس علي في تعريفه لمصطلح الذرائعية والتداولية أو النفعية في كتابه "مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب."

التعقيب على الدراسات السابقة.

استفادت هذه الدراسة من مضامين الدراسات السابقة في توسيع أطروحاتها وما تطرقت إليه من موضوع يدور حول الدراسات البينية، واتَّخذت مدونة نصية لم تدرس من ذي قبل، وتعرضت لها بالتحليل والمناقشة من خلال إلقاء نظرة عامة وبيان دور الدراسات اللسانية في توجيه الخطاب اللساني في كتاب "علم التخاطب الإسلامي"، واستجلاء الآفاق ومعطياتها في تجربة الدراسات البينية بين التأصيل والتفعيل، فتميّزت الدراسة عن غيرها في حديثها عن هذه الموضوعات المستجدة .

محاور البحث:

-أولاً: كتاب " علم التخاطب الإسلامي" لمحمد محمد يونس – نظرة عامة .

-ثانياً: طبيعة الدراسات البينية وعلاقتها بالخطاب اللساني العربي.

-ثالثاً: دور الدراسات البينية في توجيه الخطاب اللساني في كتاب "علم التخاطب الإسلامي."

-رابعاً: آفاق تجربة الدراسات البينية في كتاب "علم التخاطب الإسلامي" بين التأصيل والتفعيل.

1. كتاب " علم التخاطب الإسلامي" لمحمد محمد يونس – نظرة عامة .

يمثل الكتاب إضافةً علميةً للثقافة العربية والإسلامية، ويتميّز بطرحه المعرفي العميق المبني على سبك المعارف والاستفادة منها في التأصيل للمنجز اللساني الحديث والسعي إلى تفعيل دوائره وتقاطعاتها مع جهود القدماء ومعطيات التراث وتوجيهات المحدثين باستقراء علمي ناضج، يُؤكد على محورية تحكيم المنطق في استنطاق نصوص الحضارة العربية والإسلامية في ضوء تداخل المعارف وتشعباتها، فيتّصف كلام العرب بأنه متَّسع وطرق البحث فيه متشعبة، فتضبط كتب اللغة "الألفاظ والمعاني الظاهرة دون المعاني الدقيقة التي يتوصل إليها الأصولي باستقراء يزيد على استقراء اللغوي فهناك إذن دقائق لا يتعرض لها اللغوي ولا تقتضيها صناعة النحو، ولكن يتوصل إليها الأصوليون باستقراء خاص وأدلة خاصة"(الشنار، 1984: 91)، جاء عنوان الكتاب موسوماً بِـ" علم التخاطب الإسلامي- دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص"، لمؤلفه الجهبذ الفذ د. محمد محمد علي يونس الليبي الأصل والخليجي الدار والإقامة والعالمي الثقافة، صدر هذا الكتاب عن دار المدار الإسلامي في بيروت عام (2006م)، وهو في الأصل مترجم عن الكتاب الأصل الذي نُشرَ باللغة الإنجليزية تحت عنوان **(Medieval Islamic pragmatics)** في دار كيرزون برسفي بريطانيا عام (2000م)، اعتمد فيه المؤلف على مصادر ومراجع أصولية وإنجليزية .

قدَّم أهل الأصول مفاتيح فاعلة لقراءة النصوص ومعالجة المقاصد وحراكهم العلمي كان دائماً يعمد إلى الاستفادة من الآليات الإجرائيّة المسنّة، بالإضافة إلى تقنين التعارض الذي يلمس بعض العناصر اللسانية على مستوى الحدث الكلامي ثم فحصه بمجهر التأمل والتدبر كي يستميز الراجح من المرجوح(مختار، 2011: 278)، فيقع الكتاب في ثلاثمائة وأربع عشرة صفحة، يتكون الكتاب من مقدمة وخمسة فصول، بدأ الكتاب بشكر وعرفان ومقدمة للطبعة العربية ومقتبسات مما جاء في المراجعات، تحدث الفصل الأول عن مقدمة فيها مراجعة عامة ومناهج الأصوليين التخاطبية في دراسة التخاطب، وأهداف الدراسة ونطاقها وتعليق على المصطلحات المستخدمة وبنية الدراسة، وتناول الفصل الثاني الوضع والاستعمال فتطرق إلى الوضع والوضع الكلي والجزئي والعام والخاص والاستعمال والقصد والقرينة، وتعرض الفصل الثالث إلى الحمل، فتحدث عن الفقه والفهم والحمل، والدلالة باللفظ ودلالة اللفظ، والسياق من زاوية المخاطب، والنظرة الشمولية للنص، والقرينة عنصراً دالاً، وأنواع القرينة وأنموذج الحمل عند الجمهور والأصول ومبدأ بيان المتكلم وصدقه والإعمال والتبادر والاستصحاب .

بيّن الفصل الرابع نظرية الحمل السياقي عند ابن تيمية، وجاء فيه الدعوة إلى المنهج السياقي الخلفية الفلسفية وموقف ابن تيمية الوجودي، ونظرية نسبية الإدراك ونظرية الحد السياقية عند ابن تيمية، ونظرة ابن تيمية السياقية إلى اللغة والإفادة، والتفريق بين الوضع والاستعمال، والتفريق بين المعنى والمراد، والدلالة، ومراجعة ابن تيمية النقدية لثنائية الحقيقة والمجاز، ورأي أنصار ثنائية الحقيقة والمجاز، وحجج لتأييد التفريق بين الحقيقة والمجاز، وحجج ضد التفريق بين الحقيقة والمجاز، وتفسير ابن تيمية للمجاز، وأنموذج الحمل عند ابن تيمية، والتأويل وحدود التأويل، يتَّضح أن المؤلف في طرحه للنظريات ينبع من حاجة اللسانيات العربية للخبرة المتكاثفة، ووعيه بضرورة التأسيس النظري وفاعلية التثقيف العربي الذي انحصر، واحتجب بفعل ذلك الإدراك العلمي الشامل، وتقلصت دوائر الإشعاع المعرفي وانغلقت في حلقات الاختصاص الأكاديمي(المسدي، 2010: 8)، فتسهم جهود د. محمد محمد علي يونس في زيادة عمق الوعي بضرورة فاعلية الدراسات البينية ودورها في تنمية المعرفة اللسانية وترقية ثقافتها.

عرض المؤلف في الفصل الخامس طرق الدلالة عند حديثه عن التصنيف العلامي للدلالة، والدلالة اللفظية الوضعية، وأنواع الدلالة اللفظية الوضعية، ونقد التصنيف، والتصنيف النصي للدلالة، وطريقة الأحناف في تقسيم الدلالة وعبارة النص وإشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص، وطريقة الشافية في تقسيم الدلالة: تصنيف الجويني والغزالي والآمدي وابن الحاجب، ودلالة المفهوم وأنواعه ومفهوم الموافقة والمخالفة وأركان مفهوم المخالفة وحجية دلالة المخالفة وأسس مفهومها وشروط حجيتها وأنواع مفهومها، والتي تتمثل في مفهوم اللقب والصفة والشرط والغاية والعدد والاستثناء والحصر، ومن ثم الخاتمة وفيها المصادر والمراجع .

اعتمد المؤلف في كتابه على الخرائط المفاهيمية التي توضح مقاصد علم التخاطب وآلياته وإجراء موازنات بين مناهج الأصوليين وما تشتمل عليه من مسائل وقضايا تتصل بتحليل الخطاب والنص وفهم الدلالات الصريحة والضمنية أو المحمولة على المبنى أو المعنى أو السياق أو معرفتها في ضوء القرائن؛ فيركز المؤلف على مناقشة الموضوعات المهمة المتمثلة في "عناصر التخاطب والتفريق بين مبادئه وأصوله، ومنها أيضاً التفريق بين أنواع الدلالة المختلفة، ودراسة التصنيف الدلالي بنوعيه العلامي والنصي، ولعل أهم ما ينوه به هنا ربط أنواع الدلالة المختلفة بمبادئ التخاطب المفسرة والموجهة لها"(علي، 2006: 13)، وفي سبيل ذلك استثمر إمكانات الدراسات البينية التي تخدم موضوع التخاطب وتستجلي معالمه في جهود القدماء والمحدثين، فطرح بناء نظرية للمسالك والغايات في علم التخاطب، تقوم على "اتباع المسالك التخاطبية للوصول إلى المقاصد الكلامية والأغراض والغايات التي يحملها الخطاب"(برجيحان وبوعمارة، 2018: 78).

أشاد بمتن الكتاب ومحتواه ومكانته كثير من أرباب العلم، فهو يمثل مرجعاً مركزياً في الدراسات اللسانية الحديثة يجمع بين عاملي الأصالة والمعاصرة ويوازن بينهما(الوعر، 1988: 355)، يعالج مسائل المعطى اللساني ومنجزاته وفق منظور تداولي ينطلق في تحليله من منحى فلسفي في فهم آليات تكوين الكلام وكيفية إيصال رسالة النص والأطراف المشتركة في ذلك، والقضايا التي تمس جوهر الخطاب أو "التخاطب" كما يسميه، والذي يقوم على أقطاب العملية التواصلية وآليات صيرورتها؛ فبيّن الكاتب جوهر الكتاب ومنهجه في قوله:" يتناول هذا الكتاب المناهج التخاطبية في علم الأصول، متّبعاً في مناقشة تلك المناهج نهجاً لسانياً استثمرت فيه النظريات البراغماتية الحديثة التي تُعنى بمسألتي اللغة والتخاطب"(علي، 2006: 7)، يتّضح أن التوجه العلمي في إدارة المعرفة اللسانية وتحليلاتها يقوم عند الكاتب على جانب تأصيلي تراثي وجانب تفعيلي حداثي يستثمر المنجزات المعاصرة في حقول اللسانيات.

يمتلك الكتاب قيمةً علميةً تفاعليةً لها عمقها في الدرس اللغوي واللساني العربي؛ فهو نافذة تخصصية جديدة استفادت من معطيات الحداثة في توجيه المعرفة اللسانية التراثية غير التخصصية والعمل على إنتاجها وفق منهج تحليلي يفكك المشهد اللساني من منطلق بحثي بيني يعيد ترتيب المعطيات اللسانية وتداخلاتها المعرفية الجديدة؛ مما يحمل في ثناياه الفائدة للثقافة والحضارة العربية والإسلامية؛ بما يعزز الهوية اللغوية المتفاعلة مع مختلف القضايا والمسائل وما يتفرع منها .

2. طبيعة الدراسات البينية وعلاقتها بالخطاب اللساني العربي .

تمثل الدراسات البينية اتجاهاً معرفياً جديداً يظهر حالة التشابك والترابط بين وجهات النظر وحتمية الربط بين المعلومات في نظام تتصل فيه التخصصات العلمية على تنوعاتها، بالإضافة إلى ارتباط مختلف المجالات بالعلوم الإنسانية المتمثلة في العلوم النفسية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والسياسية والدينية والتعليمية والتربوية والعصبية والعرفانية وغيرها، فيحتم ذلك وجود ترابطات من أجل الوصول إلى مخرجات موضوعية ذات توجهات علمية في عملية البحث العلمي واختبار الفرضيات، وتفسير الظواهر، وحل المشكلات، ووضع الحلول واكتشاف فاعليتها؛ فتمثل الدراسات البينية بعداً مهماً في المعرفة الإنسانية الجديدة التي أنتجها العصر الحديث؛ نظراً "للتطور المتسارع في ميادين المعرفة ومجالات البحث العلمي ومناهجه والتحولات الكبرى في كافة ميادين المعرفة"(مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، 2017: 5 .)

تأثر الدرس اللساني العربي بالدراسات البينية فنشأت اللسانيات العربية في أحضان مختلف العلوم والمعارف والفنون والآداب، التي تعجّ بها الحضارة العربية والإسلامية، أضِفْ إلى ذلك النتائج المهمة التي جاء بها النص الديني، فأحدث ثورةً نصيةً تتعلق بتوضيح النص وما يتّصل به، فاجتهد المفسرون والأصوليون في تفسير النصوص وسبر مقاصدها وكيفية فهم النص وما يشير إليه أو يقتضه أو ما يحمله من دلالة في سياق الاستعمال، فتنوعت التأويلات والتوجهات حول نصوص الخطاب، وتلاقحت

جهود علماء العرب المسلمين مع بعضهم بعض، فأنتج كماً معرفياً كبيراً له توجهاته التراثية المتعلقة بطبيعة الخصوصية اللسانية وما يتّصل بها من مقاربات تعزز الفهم والتوضيح والتفسير لجواهر الكلام وما يتم التلفظ به، حتى علم الرمز والعلامة تعرض لها القدماء والذي أصبح يوسم بعلم السيمياء، وخاض القدماء في البحث ما وراء الملفوظ من دلالات ومقاصد وافتراضات مسبقة مع تنويع في إيصال المقاصد والرسائل حتى عن طريق المغالطات والأصول القائمة على القياس أو الإجماع أو السماع وما إلى ذلك من تمثلات وتجليات لها روابطها القويمة بالتوجيه النصي للخطاب ومؤولاته، فكل ذلك وصف للغة الإنسانية بشكل علمي يقوم على توصيف الوقائع ومعاينتها، والاعتماد على الملاحظة ووضع الفرضيات وفحصها والتجريب والدقة والشمولية(بلعيد، 2009: 16 وبوقرة، 2009: 11).

تشعبت اهتمامات كتب التراث في المعالجات اللسانية، وتنوعت الأدوات والوسائل والمناهج في المجال الديني، والتاريخي، والجغرافي، والأدبي، والنقدي، والبلاغي، والأصولي (علي، 2004: 5)، فتراكم المعرفة واختلاف توجهاتها يمثل توجهات جوهرية في رسم ملامح المنهج البيني التداولي لمختلف الأصول والفروع، التي يستفيد منها الدرس اللساني العربي، فمثلاً لمَّا تأخر العهد وتراكمت المعرفة نجد ابن خلدون مثلاً يزخر كتابه بالتوجهات اللسانية الأصيلة في بابها، بالرغم من أنه كتاب تاريخي، أضِفْ لذلك ما تشتمل عليه كتب الأصول الفقهية، والتفاسير، وكتب الطبقات، والتراجم، وعلم الأنساب، وكتب الأخبار، والأدب، والنقد، فهي تشتمل على ذخائر لسانية تحتاج إلى من يتبصرها ويفهم مقصدها ومرادها جيداً، فمثلاً لو تدبر أهل الاختصاص كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي؛ فهو كتاب علمي له جوانبه الفلسفية عميق في بابه، يؤصل صاحبه للتخاطب من منطلق شمولي فيه وعي لساني بكنه اللغة العربية وتمثلاتها وأوجه استعمالاتها؛ لأن اللسانيات "علم شمولي لا يلتبس البته باللغة التي يقدَّم بها، وفي هذه الخاصية على الأقل تدرك المعرفة اللسانية منزلة العلم الدقيق"(المسدي، 2010: 12)، وكذلك كتب الجاحظ، وكتب المجالس، والأمالي؛ فهي ذات امتداد عميق للدراسة البينية لمختلف التوجهات، والتفسيرات، والتأويلات الواردة في سلوك الثقافة والقراءة والمعرفة عند المؤلف العربي .

بقي أن أشير إلى طبيعة العصر المملوكي والعثماني فهو من أنضج العصور التي تداخلت فيها المعارف في حضارة الأمة العربية والإسلامية، ولكن للأسف كثير من الباحثين لم يتطرق لمنجزات هذا العصر ووسمه كثير منهم بأنه "عصر الضعف" أو "الانحطاط"، ولكن لا بد من إدراك القيمة العلمية لما أسدله كُتاب هذا العصر، فمثلاً شهاب الدين النويري، والمقريزي، وابن حجة الحموي، وابن جماعة، وابن منظور، والبغدادي صاحب "الخزانة" وغيرهم، قدَّموا اجتهادات لسانية مزجت بين الثقافة الأصلية والمحلية المعاصرة علاوةً على ما أنتج من تراكمات علمية على مر العصور السابقة، ويوجد كثير من الإرهاصات المعرفية في عصر ما قبل الحداثة والاستشراق والاستعمار الذي حدث لحضارة العالم العربي والإسلامي .

أمَّا بخصوص الحديث فهم عصر المعلومات والمعارف، زادت فيه فاعلية أدوات التمازج المعرفي والمثاقفة وتقاربت اللغات فيما بينها، وكل لغة أعادت تشكِّيل نفسها أمام السيل العرم من التجديدات التي لم يكن لها بها سابق عهد، وأثبتت اللغة العربية نفسها بجدارة في مواجهة التغيرات وضبطها، وإن كان هناك ضعفاً فهي لا تتحمل تباطؤ أبناؤها للحاق بها في ركب النهضة وبناء نصوص الحضارة، فأنتج هذا العصر تساؤلات جوهرية تحتاج إلى استبصار، واستقراء عميق حول فهم الخصوصية اللغوية في ظل التداخل، والتشابك، ووفرة الدراسات البينية، وكل ذلك مدعاة إلى تحكيم النهج العلمي القويم لمحتوى اللغة العربية ودرسها اللساني، فتداول الباحثون في العصر الحديث فروعاً معرفيةً متنوعةً تتصل بالمعطى اللساني تتمثل في اللسانيات الاجتماعية، والحاسوبية، والوظيفية، والعرفانية، والعصبية، وتعليم اللغات، ولسانيات النص، والتداولية، وعلم النفس اللغوي وما إلى ذلك من أقسام، وبالأخص فيما يتعلق بالمعطى الرقمي لاستعمال البيانات اللغوية وتطويعها لآلة الحاسوب، فيجعل النص اللساني يمتلك مرونةً في التكوين، والتشكيل، والمعالجة المنهجية على مستوى المبنى، والمعنى، والطرح، والتداول، فهذه سمات جوهرية لا بد من إدراكها بشكل جيد، ولكن اللغة العربية بحاجةٍ ضروريةٍ لتكثيف الدراسات البينية اللسانية، وتعزيز آفاقها من منطلق

علمي وتثقيفي واعي؛ يدرك الخصوصية ويدير المستجدات، ويستثمر الإمكانات، ويواجه التحديات، ويذلل الصعوبات بفهم عميق، وإدارة رشيدة تتسم بالحكمة، واستقلالية الفكر، ويستشير عيون التراث الخالد، الذي يمثل رمزَ هويتِنَا وإرثها العريق، فلا يصح أن "يوضع فاصلاً معرفياً بين العامل اللساني القديم والحديث، فالبحث اللساني الحديث هو امتداد للبحث القديم يتعامل ويتحاور معه"(علوي والعناتي، 2009: 20)، فإعادة فهم التراث من منظور جديد يصنع ثقافةً لسانيةً معاصرةً ببصماتٍ عربيةٍ وإسلاميةٍ خالدةٍ، تحافظ على اللغة العربية، وتؤكد على عالمية رسالتها كصنيع د. محمد محمد يونس علي وغيره من أصحاب الأطروحات اللسانية ذات العمق كصنيع -أبو اللسانيات العربية- عبد الرحمن الحاج صالح، فاجتهد كثيرون في خدمة العربية، فكل ذلك يذكر فيشكر.

3. دور الدراسات البينية في توجيه الخطاب اللساني في كتاب "علم التخاطب الإسلامي ."

وظَّف المؤلف ثمراتِ الدراساتِ البينيةِ التي في كتابه وترسيخ أفكاره ورؤيته في حقل اللسانيات العربية، فتسهم الدراسات البينية في تبادل الخبرات البحثية، والاستفادة من الخلفيات الفكرية، والمناهج البحثية المختلفة بين الباحثين وادماجها في إطار مفاهيمي ومنهجي شامل؛ يساعد على توسيع المدارك وإطار دراسة الظواهر والمشكلات، وتقديم فهم أفضل لها؛ الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى الخروج بنتائج دقيقة وتقديم حلول نافعة للتطبيق(مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، 2017: 6)، علاوةعلى التأصيل لمعارف جديدة لم يكن للسانيات العربية سباق عهد بها – كما أسلفنا- فاستفاد المؤلف من الدراسات البينية في توجيه الخطاب اللساني وتحليل آفاقه في كتابه، فاستطاع أن يستعرض الأصول والنظريات، ويستقي جوهر مادتها فيما قدَّمه للقارئ العربي من منجزات ومشكِّلات لسانية تخدم نص الحضارة العربية والإسلامية في ظل وجود ثورة معلوماتية، واتّساع آفاق المعرفة، فلم يعد إنتاج المعرفة هو صميم الأمان الأمثل إنما إدارة المعرفة ، كيفية استثمارها بحس علمي ومعرفي قويم نابع من عمق المسؤولية تجاه الذات والتراث وكيفية التعامل مع الآخر والوافد معرفياً وثقافياً، أدرك المؤلف حقيقة ذلك، فقدَّم تصوراً يفوق ما رسمه الاستشراق الثقافي حول المعطى اللساني العربي، فأعاد ترتيب كثير من المسائل والقضايا التي أقرَّ له بها المستشرقون أنفسهم ومن درس على أيديهم، فالحق في حق المؤلف ما شهدت به الأعداء الألداء من ناحية، ويثبت حيوية المعين المعرفي للتوجه اللساني عند المؤلف وأطروحاته، التي يُنادي بها بشكل حثيث ويسعى إلى تعميمها ونشرها من خلال مؤلفاته الأصيلة في بابها، وهذا ليس من باب الإطراء إنما خير شاهد ودليل على فاعلية الدراسات البينية النابعة من ثقافته الجمّة ومعينه المعرفي الذي لا ينضب، فأهل الاستشراق انكبّوا على دراسة تراثنا وصاغوه من جديد وأعادوه إلينا، وأصبحنا نجلد ذاتنا، وننغمس ونخوض وراء ما يريدون بدون تمحيص ووعي، بالرغم من أن المستشرقين يبذلون جهوداً في لغة غير لغتهم، فالأجدر أن يتم توجيه جهود الباحثين إلى ما قدَّمه السلف من علمائنا، والاتكاء عليه في توفير ما يمكن أن يعننا على فهم كل المعطيات والتمثلات المعرفية في الثقافة اللغوية(الحيادرة، 2003: 131/1).

مها يكن من أمر، بيّن المؤلف محددات كتابه - محور دراستنا- إذ يقول:" يرمي الكتاب إلى صوغ الأصول والنظريات اللغوية التي تبعثرت أجزاؤها وفروعها في كتب الأصول، وغاب عنها السياق النظري الشمولي، والإطار العام الذي يوجّه، ويفسّر تلك الأجزاء والفروع، وقد تطلّب صوغ تلك الأصول قراءة معمّقة ودقيقة للأصول الفلسفية الوجودية منها والمعرفية التي تنبثق عنها النظريات اللغوية للأصوليين"(علي، 2006: 7)، فاجتماع الأصول والفروع في عملية التأطير والتأصيل ينتج تفاعلاتٍ ضمن عامل التفعيل للمضمون اللساني وأطروحاته في سياق الخطاب العلمي والثقافي في الحضارة العربية والإسلامية ومنجزات الحداثية وتياراتها واستراتيجياتها القرائية، ويشير ذلك إلى استقراء المعطيات والتوجهات المتناثرة في مختلف الدراسات وما يتفرع منها، والارتكاز على علم الأصول ودراسته وفق نظرة شمولية ذات توجه نظري منهجي يتسم بالمعالجة العلمية؛ لأن الدراسات البينية تقوم في

طرحها على تكامل المعرفة أو صياغة مجالات بحثية جديدة (مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، 2017: 7)، وتحديد معالم التأطير والتأصيل الذي يتم من خلاله معالجة علم التخاطب واتجاهاته اللسانية بما يوضح ويفسر الصورة ويعمقها في الممارسة اللسانية العلمية، فاجتهد المؤلف في تقصي الأصول العلمية، والمعرفية، والفلسفية، والوجودية، والمعرفية، التي تتعلق بآراء ونظريات أهل الأصول وما يتداخل فيها من أجزاء وفروع تخدم المنجز اللساني العربي في إدارة معارف النص وحيثياتها وأبعادها وتجاوزاتها وتجلياتها في مختلف أوجه السياق؛ لتوصيل المقاصد والرسائل بطريقة تفاعلية، واستجلاء معالم المضامين واستدلالاتها وتصوراتها في الاستعمال اللغوي .

وظَّف المؤلف الدراسات البينية في ابتكار المعرفة اللسانية والعمل على عوربتها من منطلق تأصيلي وتفعيلي، فأدرك حجم الثمرات المفيدة من استبصاره وتدبره لحيثيات إدارة النصوص ومعارفها ضمن سياق الخطاب على تنوع مستوياته في المؤلفات العربية الرصينة، إذ يقول: "لقد أثمر هذا التلاقح بين الدرس الأصولي والدرس اللساني في نشأة علم جديد يمكن تسميته بِـ"علم التخاطب الإسلامي"، وقد شرعنا في هذا الكتاب في وضع قواعد الأساس لهذا العلم، الذي استمدت مادته من التبصرات العلمية التي خلّفها لنا الأصوليون في مجالات اللغة وتحليل الخطاب والنص والفلسفة والمنطق"(علي، 2006: 7)، استطاع المؤلف أن يؤصل لعلم جديد أطلق عليه اسم "علم التخاطب الإسلامي" استند فيه إلى أصول معرفية، يستحضر من خلالها آليات التواصل اللغوي واستنتاج الدلالات الهامشية والمحورية في استعمال اللغة وتداولها بما يوصل رسالتها ويعزز قيمتها الوظيفية من منظور شمولي يدرك الجزئيات ويفهم متطلبات الإنتاج والتداول والتلقي، وبالطبع سبك المؤلف بين تراكمات المعرفة الأصولية وتوجهاتها في التعامل مع النصوص وبين ما أسدله الدرس اللساني من معارف وخبرات وقدرات تشربها المؤلف وهضمها بشكل واعٍ، فشرع في طرح قواعد معرفية أصيلة في بابها؛ نتيجة ثمرة القراءة الواعية، التي تقرر أصول العلم والمعرفة فيما يختص بعلم التخاطب بدءاً من الوضع والتلفظ وصولاً إلى الاستعمال والتداول، فيمثل النص البشري " نتاج اقتباسات تشتمل على مواضعات واستعمالات وثقافة فردية ومؤسسية في إطار محيط زماني أو مكاني"(علي، 2016: 15)، ويقر المؤلف بأن مجمل المتن والمادة التي استند إليها تتمثل في المنجز العلمي الدقيق الذي اجتهد في إنتاجه أهل الأصول، ومن ناحية أخرى يمثل هذا الاجتهاد خليطاً من معطيات لغوية تعدُّ من صميم الاستعمال اللغوي، وتحليل الخطاب وتأثيراته التفاعلية في توجيه الدلالات، وابتكار النصوص، والاعتماد على الفلسفة في البحث المُراد، واستعمال المنطق في سبيل التأصيل والطرح اللساني العتيد .

حكَّم المؤلف منهجه بمبدأ الوضع والاستعمال، فأرشده ذلك إلى الابتكار، وطرح المنجز بشكل علمي مبني على الاستقراء، والتبصر، والتدبر، فهو لم يكن من أهل البدع في الطرح والتداول على صعيد الخطاب اللساني إنما اتّبع منهج المجتهدين والمجددين في الفكر والثقافة والمعرفة، إذ يقول:" ولا بد من التذكير هنا أن توليد علم فرعي من علم واسع كعلم الأصول ليس بدعة في تراث العربية، بل هو نهج سبق لعلماء التراث أن انتهجوه، ولعل أفضل مثال على ذلك يمكن ذكره في هذا السياق ما فعله عضد الدين الإيجي في النص الأول من القرن الرابع عشر الميلادي(الموافق للنصف الأول من القرن الثاني الهجري)، عندما كتب رسالة عن "الوضع" وقد دُعِمَ هذا العمل بمحاولات أخرى، وتكللت جهود علمائه أخيراً بنشأة علم منفصل في القرن الثاني عشر الميلادي سُمِي بِـ"علم الوضع""(علي، 2006: 8)، يدرك المؤلف مكانة التجديد والتحديث في الطرح، والتفكير العلمي، وصياغة ميادين جديدة للعلم؛ فيمثل ذلك غاية أساسية للدراسات البينية ومنتجاتها في الثقافة المعاصرة لحضارة النصوص العربية والإسلامية وما يتّصل بها من أصالةٍ وذوقٍ .

يتَّضح تأثر المؤلف بنظرية الأصل والفرع في الاستفادة من الدراسات البينية، وذكر نهج القدماء في ابتكار المعرفة وطرح المستجدات، وتحدث عن جهود عضد الدين الإيجي وجمهرة العلماء في إرساء قواعد علم الوضع، فالمؤلف استفاد من تجارب الأصوليين في التعامل مع المعرفة وتفرعاتها وتشعباتها، ويستمر في الكشف عن العلاقة بين الوضع والاستعمال الذي اعتمد عليه كمبدأ -كما ذكرتُ ذلك سابقاً- إذ يقول:" إذا ما أخذنا في الحسبان العلاقة الوطيدة بين "الوضع" وما يقابله في تراث العربية

إجمالاً، وفي علم الأصول على وجه الخصوص، وهو ما يعرف بِـ" الاستعمال"، أدركنا أهمية أن يُفعلَ بالاستعمال ما فُعِل بالوضع، وهو أن يصبح علماً مستقلاً، له ما يميّزه في غايته ومسائله ومبادئه وأصوله وفلسفته، وغير ذلك مما تتطلبه العلوم"(علي، 2006: 8)، فإدراك هيئة الحصول وأحوال حدوثها يقود إلى الإلمام بالأسباب ومعرفة النتائج، فيجسد ذلك فهماً كلياً تتوثق فيه العلاقة المنطقية بين الجزء والكل، وتترابط فيما بينها؛ لتوثيق الصورة الكلية ونقلها ومعالجتها من منظور شمولي يتّسم بالأصالة، والجدة، والشمولية، والعموم .

يُلاحظ أن المؤلف يدرك العلاقات القائمة بين أصول العلم وفروعه، ويبيّن طبيعة التشابكات العلائقية القائمة بشكل ضمني في المنتج المعرفي على تنوع اختصاصاته، وتحدث المؤلف عن استقلالية العلم وما يتعلق به في الطرح، ويدل ذلك على أن توظيف الدراسات البينية والإقرار بفصل العلوم، وتمايزها، واستقلاليتها، وفرادتها يتّطلب نضجاً علقياً واعياً في الممارسة، والتأصيل، والتأطير، والتوجيه، والتحليل، وسعة الإدراك، والمعرفة، والثقافة في التعامل مع المنجز التراثي والحداثي؛ فيقول:" وما يقصده الأصوليون وغيرهم بالاستعمال هو ما نقصده بالتخاطب؛ إذ إن استعمال اللغة هو التخاطب بها، وهذا ما سوّغ لنا ترجمة اسم العلم المعروف في اللسانيات الغربية الحديثة بِـ"**pragmatics** "بِـ" علم التخاطب"؛ لكون معناه الحرفي – كما يذكر اللسانيون- دراسة الاستعمال)""**the study of use** " علي، 2006: 8)؛ فإيجاد البديل، واستكشاف العلاقة، وفهم كنّها؛ يخدم التفاعلات الحاصلة، والنتائج المترتبة عن الدراسات البينية، فيؤكد ذلك على أهمية الكتابات اللسانية العربية مقارنة بالكتابات اللسانية المترجمة للعربية(حمايدية، 2021: 419)، فيتّضح عمق إدراك المؤلف لمعنى التخاطب إقرار خصوصيته المعرفية، وحدوده، ورسومه، بالإضافة إلى اطّلاعه على ثقافة الآخرين، ومنجزاتهم المعرفية في حقول اللسانيات، فيعزز ذلك من توجيه ثمار الدراسات البينية في جهود المؤلف وتأميمه للمعرفة اللسانية العربية من منطلق يمثل المسؤولية اللغوية، وإعادة توجيه معارف التراث وعلومه، وتغيير النظرات السلبية تجاهه؛ بما يعزز من حضوره الرَّاهن في الخطاب اللساني العربي المعاصر.

يتَّصل الطرح العلمي وتوجهاته في الدراسات البينية عند المؤلف بإظهار التمازج الحاصل في كيفية الحصول والهيئة التي يحدث بها المحور الذي يتحدث عنه في الثقافة اللسانية؛ إذ يقول:" إن الغاية من علم التخاطب هي معرفة كيفية حصول التفاهم بين المتخاطبين وتشمل مسائله كل العناصر التي تسهم في إحداث التخاطب من وضع واستعمال وقرائن وأنواع الدلالات المختلفة والنظريات الدلالية ذات الصلة بالاستعمال والسياق، أما مبادؤه فهي قضايا اللغة المختلفة التي تبحث في فقه اللغة والصرف والنحو والبلاغة واللسانيات وتحليل الخطاب والنص، وعلم الأصول وعلم التفسير وعلم الحديث والمنطق والفلسفة، وغير ذلك مما له صلة بالموضوع"(علي، 2006: 8)، فيبرهن ذلك على تظافر العلوم، وتداخل المعارف في تحليل الظواهر الإنسانية والطبيعية؛ لأن العلوم في أصولها وجذورها الأولى متداخلة ومترابطة، واستفاد العلماء على مر العصور من هذا التداخل في تحقيق التصورات التي مرَّت بها البشرية(مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، 2017: 14).

يبرز المؤلف أصول المشكِّلات العلمية، وتكويناتها المعرفية حول المنجز اللساني، وتمثلاته في الممارسة اللغوية، فيستعرض أصول علم التخاطب من منظور الدراسات البينية؛ إذ يقول: "وأما أصول هذا العلم فقد يجد الناظر منها بغيته في كتب الأصول، وفي كتب اللسانيات، ولا سيما في "البراغماتية" أو ما سميناه بِـ "علم التخاطب"، وقد حاولنا في هذا الكتاب أن نصوغ ما يتعلق بهذا الموضوع من أصول لغوية، وفلسفية، وتخاطبية، مستفيدين في ذلك من جهود الأصوليين واللسانيين"(علي، 2006: 8-9)، فالإشارة إلى التمازج في الطرح العلمي وتكويناته يعزز من مقصدية الخطاب اللساني، ويبرز الهوية الثقافية، وتجلياتها في التفكير اللغوي العربي في العصر الحديث .

يركز المؤلف في توجيه البيني على فهم جوهر الشيء ومحور بنائه بالكشف عن أصول تكوينه وفلسفة تشكيله، فتحدث المؤلف من منطلق الدراسات البينية في الحديث عن فلسفة علم التخاطب إذ يقول:" أما جوهر فلسفه فتقوم على التشديد على سمة

"القصدية" و"المرادية" في الخطاب، وهو ما يؤول إلى القول بأن التفاهم، أو التخاطب الناجح لا يحدث إلَّا إذا أدرك المخاطَب مراد المخاطِب، وهنا لا بد من التفريق بين هذا النوع من البحث العلمي الموضوعي، وبين ما شاع في بعض اللسانيات الفرنسية وما شاكلها من تيارات حداثية وأدبية تُلغي سمة "المرادية" من الخطاب أو النص، وتجعل من لغته أو من طبقاته التحتية وشحناته النفسية، ورموزه الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية محوراً للتأمل والنقد الانطباعي"(علي، 2006: 9)، فيساعد الانفتاح على التخصصات في الدراسات البينية على إيجاد تكامل أو تبادل معرفي بين العلوم، طوّعه المؤلف بفكره وثقافته لخدمة الخطاب اللساني العربي؛ فأضحى ذلك "وعياً منهجياً في أطروحات الثقافة العالمية والمعاصرة"(لزرقي، 2021: 185).

استحضار التجارب واستلهامها في توجيه الطاقات المعرفية التخصصية في حقول اللسانيات العربية، وتوضيح الصورة الحقيقية في مناقشة المسائل والمعارف الأصولية حول شخصية ابن تيمية، الذي أنتج أفكاراً تختص بالدراسات البينية فتنوع مسارات ما تناوله بين مسائل عقدية وفلسفية ومنطقية ولغوية، استفاد من تحليلها ومناقشتها وإرساء قواعدها المؤلف، ونقل صورة ابن تيمية وغيرها في أذهان الغربيين وكثير من المسلمين، إذ يقول المؤلف:" ولا تزال أقرب إلى صورة الفقيه المتشدد الذي يتّسم بضيق الأفق ومعاداة المنطق والتفكير العقلاني والتشدد في المواقف والفتاوي والتحامل على الآخرين، وقد أسهم في كثير من خصومه، وربما من أنصاره في ترسيخ هذه الصورة، وترويجها على الرغم من أن واقع الأمر مختلف تماماً عن ذلك"(علي، 2006: 11)، فيؤكد ذلك على محورية الدراسات البينية في تكوين المعرفة العلمية ومتطلباتها في الفكر السليم وأطروحاته التنويرية المتفتحة، من خلال درجة التفاعل والوعي الكامنة في الممارسة المعرفية في تطبيقات الدراسات البينية وتنظيراتها وتأويلاتها وتقاطعاتها وتداخلاتها، وإجراء مقاربات من زوايا متعددة وغير تقليدية، والانفتاح على تخصصات مجاورة لتخصصهم بحثاً من خلال التعدد والتكامل والتفاعل عن إجابات وإضاءات قد لا يسمح بها التخصص وحده(بنخوذ، د.ت: 4-5).

التأكيد على تماسك الفكرة وعدم اضطرابها وانتشار الفوضى فيها عند الارتكاز على الدراسات البينية ومعالجة المسائل العلمية؛ إذ يقول المؤلف عن ابن تيمية وأفكاره:" أهم ما تخرج به بعد التحقيق والتدقيق في أصوله النظرية هو الانسجام الفريد بين عقائده الدينية وأفكاره المنطقية والفلسفية واللغوية، وربما كان هذا من اهم ما يمكن تقديمه مسوغاً لدعوته لدرء تعارض العقل والنقل، كما هي مشروحة في كتاب له بهذا العنوان مع تفصيلات وشروحات أخرى مبثوثة في كتبه المختلفة"(علي، 2006: 13).

اعتمد المؤلف في فهم الخطاب اللساني على تحكيم الظروف المحيطة في بيان مراد المتكلم؛ أي ظروف إنتاج النص وسياق عصره، ولا يُفهم من ذلك تحميل النص أكثر مما يحتمل أو لي عنقه بموجهات خارجية؛ إنما هو توجيه لساني يشمل كل أقطاب العلمية التواصلية في الإنتاج اللغوي بدءاً من الوضع والتلفظ وظروف الإنتاج وصولاً إلى سياق الاستعمال وتوصيل المقصد والمراد بما يضمن علمية لغوية تفاعلية؛ فيقول المؤلف في توجيهه البيني:" وعودة إلى ابن تيمية نقول إن من يقرأ كتبه قد يشعر ببعض الاستياء من تهجمه الحاد على بعض الأعلام، والفرق الإسلامية، ولكنه ربما أبدى شيئاً من التفهم عندما يقرأ عن الظروف السياسية والدينية والاجتماعية التي عاش فيها، ويُعلم ان حياة ابن تيمية كانت في معظمها معارك سياسية ضد الغزو المغولي ومناهضة لأصحاب النفوذ في السلطيتين الدينية والسياسية، وجرأة في إبداء الآراء العلمية والفتاوي الفقهية نشا عنها تعرضه للكثير من المؤامرات والفتن، وكان من نتائجها تردده المتكرر على السجن"(علي، 2006: 13)، ولعل المؤلف هنا تأثر بمقومات التوجه البراغماتي في اللسانيات الحديثة، والذي يبحث عن الافتراضات المسبقة المبنية على التشارك في المصالح والحاجات بين المتكلم والمتلقي حتى في استعمال الحجاج والمغالطات والإشاريات وأفعال الكلام ومبدأ التهذيب والتأدب وما إلى ذلك من مؤثرات لها مكانتها من وجهة نظر التداوليين .

يتَّضح من خلال النص السابق اعتماد المؤلف على استحضار النموذج الأمثل في معالجات الدراسات البينية في الحقل اللساني وتفاعلاته مع مختلف المضامين والأبعاد التخصصية وغير التخصصية، التي تستفيد منها الثقافة اللسانية العربية، وبالأخص

عندما يتعلق الأمر بشخصية تراثية من أمثال ابن تيمية وتجديد فكره الأصولي واجتهاداته اللغوية والبلاغية والفلسفية من منظور لساني مبني على علم التخاطب الذي استفاد من الدراسات البينية وتقاطعاتها في العصر الحديث .

لم ينحصر فكر المؤلف في تطبيق الدراسات البينية على جانب محدد في تحليل المقولات اللسانية إنما يسعى إلى صياغة لسانية ذات بعد نهضوي متَّسعة الآفاق تعتمد على التراث والتجديد؛ بما يستجلي المقاصد ويوضح المعطيات، إذ يقول:" إن جملة ما ورد في الكتاب يتضمن حثاً ضمنياً على الشروع في صوغ خطاب إسلامي علمي نهضوي راق يحسن صورة التراث الإسلامي، ويظهره على حقيقته الغرّاء الناصعة البياض؛ لينفض عنه غبار التشويه الذي تكاثفت جهود أعدائه وبعض أنصاره على رسمه وترسيخه في أهان الكثيرين"(علي، 2006: 13).

الإيمان بحتمية التغيير وضرورة إدارة التحول العلمي والمعرفي والمعلوماتي في ضوء المعطيات الحداثية التي تطرح تساؤلات وتنتج مقاربات تحتاج إلى استجابات واعية تنطق من كفاية تخصصية وأداء تفاعلي، وإنتاج المعرفة وإدارتها وليس استهلاكها دون تمحيص ووعي؛ إذ يقول:" أهم من كل هذا مبادرة الكتاب بالقيام بتلك النقلة النهضوية الحضارية المتمثلة في الانتقال من استيراد المعرفة من الغرب إلى تصديرها لهم، ولا غرو في أن التبصرات النافذة التي اشتملت عليها كتب الأصول جديرة بأن تصاغ صوغاً علمياً حديثاً يُجاري وربما يتنافس أحدث النظريات اللسانية الغربية الحديثة، ومن يقاربن بين نظرات الأصوليين الثاقبة في اللغة والتخاطب ليجد ما يبرهن على إمكان ذلك"(علي، 2006: 14).

امتلاك الرؤية في طرح التسلسل العلمي والإصدارات المائزة التي تحمل في متنها مشروعاً علمياً له عمقه الحضاري في القرن الحادي والعشرين؛ إذ يقول:" وما هذا العمل إلَّا لبنة صغيرة في صرح بناء أكبر ندعو الله أن يكلله بالنجاح، ولا سيما أن الأمر يتعلق بجانب مهم من حياة الأمة، فهو يتعامل مع المدخل إلى ثوابتها وثقافتها وحضارتها، ومن يسلم بأن الحضارة الإسلامية حضارة نص، وحضارة نقل مؤسس على النص، لا يستغرب أن تثبت التجربة أن مشروعاً علمياً حضارياً عمره يتجاوز ألف سنة يمكن أن يجد له مكاناً مرموقاً في مناقشات أساتذة الجامعات الغربية في القرن الواحد والعشرين وما بعده"(علي، 2006: 14)، يهتم المؤلف في تصميم منهجاً ملائماً لطلاب اللسانيات في الدراسات الجامعية، وما بعدها، وتقديم المفاهيم اللسانية الأساسية التي يحتاج إليها المبتدئون في دراسة اللسانيات، وذو الثقافة العامة، والمهتمون بهذا حقل"(علي، 2004: 5)؛ بما يخدم التطلعات ويعزز الرُّؤى والأطروحات المنهجية الحديثة في الخطاب اللساني العربي.

يُلاحظ الباحث مما سبق تنوع دور الدراسات البينية في توجيه الممارسات التخصصية وغير التخصصية في إدارة المعارف اللسانية في إرساء قواعد علمية مستجدة حول علم التخاطب الإسلامي ومصطلحاته وما يميّزه في استقلاليته عند تحليل الخطاب واستثمار مختلف الأفكار والتوجيهات في فهم النصوص وما تشتمل عليه من كفايات وأداءات معرفية وعلمية متنوعة لها مضامينها وتجلياتها وتصوراتها في سياقات الاستعمال اللغوي وتنظيمات حدوده ورسومه ومعاييره وتوصيفاته وتنميطاته في مجال الاتصال والوظيفية وما إلى ذلك من مقاصد ورسائل ومحاور تكمن في ظاهر المنجز اللغوي وافتراضاته المسبقة والمشتركة في إتمام عملية الاتصال اللغوي ومتطلبات تفعيل أدوارها وتعزيز موجهاتها وفق المبادئ والأسس والمعطيات والنظريات المنظمة لذلك .

4- آفاق تجربة الدراسات البينية في كتاب "علم التخاطب الإسلامي" بين التأصيل والتفعيل.

قدَّم المؤلف تجربةً في الدراسات البينية تقوم على تمازج العلوم في توجيهات المعرفية وتطبيقاته العلمي في حقول الخطاب اللساني العربي، فاستحضر في دراسته البينية لعلم التخاطب الإسلامي في استقراء النصوص وإدارة معارفها أكثر من حقل معرفي، فهو يجيب على "بعض الأسئلة بما يقدمه ويحل بعض المشاكل ويعالج موضوع واسع جداً أو معقد جداً يصعب التعامل معه بشكل كافٍ عن طريق نظام أو تخصص واحد"(مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، 2017:6)، ويمثل ذلك

جوهر الدراسات البينية ومعطياتها في اجتهادات المؤلف لخدمة الدرس اللساني العربي وتأطير مسائله وتفعيل قضاياه في ظل اتّساع حلقات المعرفة وانتشار علومها وفنونها، فاحترم المؤلف التراث عزز هوية الانتماء اللغوي عند المؤلف؛ فيؤثر ذلك على القرارات الآنية في إعادة تشكيل الواقع من أجل تلبية الحاجات اللغوية الرّاهنة وتحقيق التطلعات المستقبلية، فأثر المؤلف وتأثيره له مكانته عند أهل الاختصاص وأرباب الصناعة، فهو قدَّم اجتهادات لغوية رصينة تخدم آفاق اللغة العربية وتوجهاتها المعرفية ذات العمق المنهجي في إدارة المباني والمعاني والسياق وعملية التخاطب وتحليل الخطاب وقراءة النصوص وتفسيرها وتأويلها بمختلف الوسائل والأساليب والاستراتيجيات القرائية الرَّائجة في الساحة الأدبية والنقدية والميدان اللغوي .

استطاع المؤلف تشخيص الواقع اللغوي بشكل حكيم ينمي الأصول ويؤطر للفروع ويسهم في تفاعلية المعرفة اللسانية، فقدَّم المؤلف دواعي نشأة علم التخاطب الإسلامي، فتطرق في تشخيصاته وتوجهاته إلى ضخامة مادة الموروث وتراكماتها العلمية والمعرفية مما يسمح باستقلاليتها وعدم تبعيتها للآخر، واتّساع علم التخاطب وشموليته إذ يقول:" عدم قصر هذا النوع من البحث على الحاجة الأصولية بل يشمل أيضاً النصوص القانونية والمعاهدات السياسية والاتفاقيات الاقتصادية، وأنواع الخطاب المختلفة، وغير ذلك مما تشتد الحاجة فيه إلى معرفة الطرائق الموصلة إلى تخاطب ناجح، وتحليل سليم للخطاب"(علي، 2006: 9)، فيخدم هذا التوجه طرح نظريات ومذاهب لسانية في دراسة اللغة الإنسانية دراسة علمية، من أجل تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي(سيليني، 2021: 289).

أدرك المؤلف في إدارته للدراسات البينية أن هناك شيوع للفوضى وعدم ضبط تحليل الخطاب والنص، وبالأخص الاضطراب على مستوى مصطلحات اللسانيات، فأصبح المجال مفتوحاً لكل من هبَّ ودبَّ لاقتحام الموضوع، وهذا دعوة جادة إلى تمحيص معطيات المنجز اللساني ومواجهة إكراهات الواقع واستجلاء معالم الآفاق المعرفية وتجلياتها التفاعلية، فيؤكد المؤلف بذائقته اللغوية الفردية وثقافته المتنامية على تنوع مصادر البحث في علم التخاطب لكي تشمل الدراسات الأصولية وغيرها من الدراسات اللغوية والبلاغية واللسانية، ويقر المؤلف بدور الدراسات البينية في إنتاج معارف وعلوم تخدم الثقافة اللسانية العربية وتثبت فعاليتها في ضوء تنوع المنجزات والإنتاجات العلمية؛ إذ يقول عن توجهاته في الطرح والابتكار:" عدم وجود مجال مستقل في العلوم العربية يبحث مسائل هذا الحقل المعرفي"(علي، 2006: 9)، شكَّل ذلك دافعاً قوياً في فرادة الطرح وفائدة التمحيص والتداول في إقرار المعرفة الجديدة من منطلق تأصيلي تفاعلي في فكر المؤلف.

يدرك المؤلف بفكره وطرحه توجهات آراء الباحثين والمهتمين في التعامل مع المعرفة التخاطبية اللسانية، فتحدث عن فريقين، الفريق الأول: يبحث عن المنهج الباطني في دراسة النص متجاوز عنصر القصد أو المراد من الخطاب، وبيَّن أن منهج هؤلاء له توجه مختلف عن البراغماتية الحديثة التي تبحث في مراد المتكلم، فيركز المنهج البراغماتي على مبادئ التعاون المشترك بين المتخاطبين وفقاً لما بينهم من مصالح يحصل من خلالها التفاهم بينهم، وهو ما يؤول إلى القول بوجود أصول للتخاطب. وهذا المنهج الباطني له أصول في التراث العربي والإسلامي، فعرف عند الفرق الباطنية وبعض طوائف الصوفية والمذاهب الغنوصية، وأكد المؤلف أن ثلة من المحدثين يسيرون على هذا النهج يمكن تسميتهم بِـ" الباطنية الجديدة" يزعمهم علي حرب ومحمد أركون ونصر حامد أبو زيد مع تفاوت في مدى التمسك بهذا المنهج .

يقوم المنهج الباطني على مبادئ مغايرة تماماً لمبادئ المنهج البراغماتي نحو مبدأ الحجب والشكل والمخاتلة؛ فيرى المؤلف أنها:" مبادئ تقوم في مجملها على فكرة أن المتكلم لا يقول الحقيقة، بل هو مخادع مضلل، وهذا المنهج وإن صلح لدراسة النصوص الأدبية المستغلقة وما شابهها من الفنون، فلا أظن أنه يصلح لدراسة النصوص الدينية والقانونية ونحوها مما ينتمي إلى النصوص المقاصدية"(علي، 2006: 11).

والفريق الثاني يتمثل في "أهل التقليد الذين يغلقون باب الاجتهاد، ويسدون منافذ العقل والعلم، ويشككون في كل محاولات التجديد والتطوير والانفتاح على مصادر المعرفة غير التراثية"(علي، 2006: 11)، يمثل ذلك دعوةً إلى الانفتاح على الآخر وذم

القوقعة التخصصية، ويفهم من ذلك استقلالية المعالجة العلمية في طرحها وتداولها، وتشخيص المؤلف لواقع الخطاب اللساني من عمق وعيه بوجود أزمة في أسس "المنطلقات الفكرية والمنهجية التي تؤسس مجالاً معرفياً وتحدد معالمه وخطاب اللسانيات العربية خطاب هيمنة مزدوجة: هيمنة التراث اللغوي العربي القديم وهيمنة اللسانيات الغربية الحديثة"(علي، 2006: 11)، أدار المؤلف المعرفة اللسانية التراثية والحداثية متسلحاً بالعلم والمعرفة والتعامل المنهجي في طرح رؤيته من منظور الدراسات البينية التي نتنج فعل قراءة متقدم لمنجز التراث ومعطيات الحداثة يفكك المشهد اللساني ويؤسس للمستقبل المنشود(المسدي، 2010: 25).

أجرى المؤلف موازنة بين الفريقين مبيناً الفوارق بينهما في قوله:" فئة الباطنيين الجدد وفئة المقلدين أن الخلاف مع الفئة الأولى خلاف منهجي وجوهري ومبدئي، لا يتوقع معه الاتفاق إلا بالعودة إلى المنهج العلمي في دراسة النص، وليكن المرجع في هذه الدراسات اللسانية بمدارسها المعتبرة التي تقوم على الموضوعية، بعيداً أهواء بعض اللسانيين الفرنسيين الذين يصفهم تشومسكي بأنهم زمرة من الهواة يضيعون أوقاتهم في مقاهي فرنسا، أما الخلاف مع الفئة الثانية فهو خلاف ثقافي اجتماعي لا يحتاج حلَّه إلا وقت للتأمل يدرك فيه هؤلاء أهمية الأمر، وصدق النوايا، ويتذكرون فيه أن علم أصول الفقه ما كان ليأخذ هذا الشكل المطور لولا إفادة علمائه من الفلسفة والمنطق اليونانيين وأنه لا خشية على الإسلام وعلى الشريعة من التمسك بالعلم الموضوعي"(علي، 2006: 11).

تبرهن تجربة المؤلف على النظرة الشمولية في التأصيل المنهجي والتنميط المعرفي وتفعيل دوائر التخصص وتداخلاتها مع غيرها من منتجات العلم والمعرفة، بما يؤكد محورية الدراسات البينية في "صياغة مجالات بحثية جديدة تعتمد على تكامل المعرفة في ميادين مختلفة"(مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، 2017: 7)، ويمثل ذلك دأب المؤلف في طرح نظرياته ومقولاته حول فهم الخطاب اللساني العربي وتأويلاته التراثية والحداثية .

طرحت تجربة المؤلف وعياً ضمنياً بمركزية الدراسات البينية في توجه الفكر والسلوك اللغوي ومعالجاته وفق معطيات وتوجهات حداثية تخدم واقع الخطاب اللساني العربي وترتقي بمجالاته ومحاوره ومعارفه وعلومه، ومن جانب آخر استطاع المؤلف أن يؤطر للدراسات البينية بشكل منهجي واضح وصريح، يراعي الأصول التراثية ويستثمر المنجزات الحضارية الحديثة، فلم ينغلق على ذاته إنما استقبل ثقافة الآخر وأكد بفكره الواعي والناضج عوبة الخطاب اللساني واستقلاليته وفرادته وتمايزه التخصصي في استقبال المعرفة الإنسانية على اختلاف توجهاتها، فيراعي المؤلف ثنائية الوعي والمنهج، ولكنه من ناحية المنهج فهو يقدم طرحاً متقدماً له عمقه ومكانته التخصصية في سلم العلوم ودرجات المعارف؛ لأن النظرية اللسانية تحتاج لمعين فكري وثقافي ينتج المنهج القويم الذي يراعي الخصوصية اللغوية العربية ويحدد معالم النظرية وأطروحاتها وما تشتمل عليه من أنساق وخصائص معرفية، وشعر المؤلف بالقطيعة الحاصلة بين "اللسانيات الحديثة والفكر اللغوي القديم في المتطلبات النظرية والمنهجية التي طرحتها اللسانيات، والمتعلقة أساساً بتحديد الموضوع وضبط المفاهيم والأدوات الإجرائية، وتكوين مصطلحية خاصة بها، فضلاً عن الرغبة المنهجية في استقلالية اللسانيات ذاتها، والاستفادة من النتائج المُحصّل عليها سواء أكانت علوماً إنسانية أم علوماً دقيقة"(غلفان، 2003: 15).

إن التعامل المنهجي في إدارة المعرفة اللسانية من منظور شمولي يتبع للدراسات البينية يرجع إلى عقلية المؤلف المتنورة بالإضافة إلى صراحته في الطرح العلمي المنهجي بشكل صريح وواضح على طريقة أهل اللسانيات الغربية، الذين استفادوا من تراثنا العربي وأعادوا لنا بضاعتنا بأثواب قشيبة ما زلنا نمجدها ونهلل لها، فالناظر مثلاً للنظرية التوليدية التحويلية يجد أن أصلها يتمثل في خليط من اجتهادات الجرجاني وابن هشام وابن خلدون وغيرهما مما اطلع عليه تشومسكي وعرف أسراره من الثقافة اللغوية العربية وغيره كثير على قياس ذلك، لكن نحن العرب نندب حظوظنا التخصصية ونشوه الآخرين ونقزم أفعالهم ونبخسهم

أشيائهم، فأين كنا يومئذ أنتج اللسانيون الغربيون علومهم ومعارفهم بالاستناد إلى تجاربنا، والداعي إلى ذكر ذلك في هذا المضمار استلهام تجربة الأفذاذ من أمثال المؤلف والإيمان الصريح بضرورة إدارة التحولات المعرفية وأنماط التفكير الحضاري المعاصر، والتشجيع على إظهار جهود جهابذة العلم وأساطين المعرفة من المجتهدين العرب، وبالأخص ممن له طول باع في المعرفة التراثية وتراكماتها عبر التاريخ والزمن .

استقلالية الجهاز المفاهيمي والمصطلحي تقود إلى استقلالية العلم وتأصيله وتفعيله ببصمات عربية وإسلامية خالدة، فالمصطلح يمثل مفتاحاً للمعرفة فضبط أصوله وحدوده ورسومه أول ما يفكر به صاحب الطرح والنهج العلمي(غنية ووسيلة، 2016: 4)، فاجتهد المؤلف في طرح مصطلحاته وتسميات نظرياته، فتمثل المصطلحات رمزاً اصطلاحياً يحدد مفهوماً ويبيّن دوره في مجال معرفي ما(الأشهب، 2011: 34)، فاقترح المؤلف مصطلحات "علم التخاطب الإسلامي" وما يتّصل بها من معارف وعلوم وفنون وآداب وتنظيرات منهجية تعالج الأصول وتستثمر الفروع بما يبرز المكانة العلمية والمعرفية للمعطى اللساني التراثي والحداثي في الحضارة الجديدة، وينبع ذلك من قدرة المؤلف العلمية على التحكيم العلمي وعزو كل قول إلى صاحبه في اجتهاداته؛ بما يؤكد على موضوعيته وبعد عن وصف ذاته والإعجاب بها، فأنتج في كتابه "علم التخاطب الإسلامي" مجموعة من المحددات والتوجيهات، التي تؤطر وتفعل في الوقت ذاته، فاستقبل القديم ولم ينكر الجديد بفكره اللامع وثقافته الرصينة، علاوةً على ما اقترحه في مؤلفاته التي تبدو مترابطة في إصدارات متسلسلة تخدم مشروعه وفكرته، وبالطبع رافق ذلك نهضةً مصطلحيةً وجدت صداها في الأبحاث والدراسات اللسانية المعاصرة، ومرد ذلك يرجع إلى عامل الموضوعية في إدارة المعرفة اللسانية في الدراسات البينية؛ إذ يقول في معرض حديثه عن ابن تيمية:" ربما كان مما يدعو إلى العجب أن كثيراً ما يصحح أفكار بعض الفلاسفة اليونانيين، ويخطّئ ما يقابلها من آراء العلماء المسلمين وفلاسفتهم"(علي، 2006: 12)؛ فيؤكد ذلك على مراعاة المؤلف للحيادية في دراسته البينية، واستفادته من تجربة ابن تيمية اللسانية في إدارة المعرفة وإنصاف الذات وعدم تحكيم الظن والهوى، وتندرج هذه الممارسات المعرفية للمؤلف تحت " درء تعارض العقل والنقل" في مواجهة الظواهر وتحليل تجلياتها السياقية في الاستعمالات اللغوية المختلفة .

يؤمن المؤلف بضرورة التسلح بترسانة ثقافية تؤكد على فاعلية عامل التثقيف اللغوي في حسم نتائج الدراسات البينية، وتفصل القول فيما استغلق فهمه في المعطى اللساني، ولا يرتكز المؤلف على النقل أو النسخ واللصق في ظل انتشار المعرفة وتعدد أدواتها، فالناظر إلى واقع الدراسات اللسانية في جامعاتنا يدرك أن الخرق اتّسع على الراتق، فكانت منهجية المؤلف في تعزيز تفاعلات الجانب الثقافي ومركزيته في تحديد الأولويات الضرورية لراهن الخطاب اللساني وتقديم المقاربات العلمية الجادة التي تبرز معطيات وخصوصية واستقلالية التفكير اللساني العربي، ولا يعني ذلك التخلي عن منتجات الحضارة العالمية إنما وظَّف المؤلف عامل الترجمة والتعريب في سياق فهم الآخر والاستفادة من علوم ثقافة الغربيين في حقول اللسانيات، ويجسد ذلك مدخلاً تفاعلياً في استقاء الأصول وتفعيل دوائر اختصاصاتها في تفاعلية مجتمع المعرفة وتنوعاته، ويسهم في إدراك الفوارق الناتجة عن الدراسات البينية وتداخلاتها في علم اللسان العربي، ومعالجة ذلك من منظور علمي ومعرفي .

يؤكد المؤلف على سماحة المضامين والدلالات اللسانية التي اجتهد القدماء في توجيهاتها وتحليلاتها، وتغيير الصورة النمطية حول التراث من خلال الدراسات البينية الناضجة التي قدَّمها المؤلف؛ إذ يقول:" إن القارئ الموضوعي المدقق لفكر ابن تيمية قد يتفق أو يختلف معه، ولكنه لا يملك إلا أن يعجب به، وما زلتُ أذكر جيداً بهذه المناسبة عبارة د.م. ف. ماكدونالد الأستاذ السابق بجامعة إدنبرا التي قال لي بحضور د. فريدة أبو حيدر الأستاذة بجامعة لندن وترجمة عبارته هي:" لقد غيّرت نظرتي إلى ابن تيمية""(علي، 2006: 12)، فهذه الشهادات تؤكد على صحة المسار التخصصي في إدارة المحتوى المعرفي للسانيات العربية من منطلق نبذ الذاتية واحترام النهج العلمي في التعامل مع المضمون والطرح المتداول حول الخطاب اللساني .

يجابه المؤلف التقليد الأعمى في نقل المعارف والعلوم عن الآخرين واجترارها وعدم إعمال العقل والفكر فيها، والدعوة إلى التجديد بحس علمي موضوعي يبعد عن تقديس الذات والانغماس في الهوى؛ إذ يقول في معرض حديثه عن ابن تيمية:" إن المتمعن في فكر ابن تيمية ليلحظ بوضوح أنه أشد المناوئين للتقليد الأعمى، وأكبر دعاة الاجتهاد في التاريخ الإسلامي، وربما كان نقده للفلاسفة المسلمين قائماً على الإحساس بأنهم استسلموا لأفكار أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان دون أن يُعملوا عقولهم بالقدر الكافي الذي يضمن الوصول إلى قواعد منطقية ومبادئ فلسفية أقرب إلى الصواب مما ورثوه عن فلاسفة الإغريق"(علي، 2006: 12)، فيشير كلام المؤلف إلى الضرورة الحتمية التي تطلبها الظرف الراهن في عصر ابن تيمية واجتهاداته، فكل قديم في عصره جديد، وكأن شدته وغلظته في النقد والتوجيه هي بناء أطروحات معرفية تحرك الفكر والممارسة الأصولية والفلسفية واللسانية في تحليل الخطاب وقراءة النص واستدلالاته وتصوراته.

يعزز المؤلف في اعتماد على الدراسات البينية من التقصي والاستقراء العلمي الفاحص؛ فيقول عندما تحدث عن ابن تيمية واجتهاداته من منطلق بيني، إذ يقول:" شرع في قراءة فاحصة للمنطق اليوناني بمدارسه المختلفة، وأردف بقراءة شروح الفلاسفة المسلمين وتعليقاتهم عليه بعقل منفتح وفكر ناقد وكان من نتائج ذلك التفنيد العلمي لكثير مما عُدَّ من مسلمات المنطق اليوناني، كالقول بأسبقية الكليات على الجزئيات، وطريقة القياس الأرسطي وكيفية صياغة الحدود ومسائل الإدراك وغير ذلك من قضايا المنطق والفلسفة"(علي، 2006: 12).

يتَّضح للباحث -مما سبق- خصوبة التجربة اللسانية في ضوء معطيات الدراسات البينية التي وظَّفها المؤلف في توجيهاته وطرح آرائه، فنتج عن ذلك تمازجات علمية ومعرفية جديدة يحتاج إليها الخطاب اللساني العربي، ويحمل ذلك تأصيل لمادة الموروث وتفعيل لها وفهمها في ضوء المتغيرات الحاصلة بعد زمن الإنتاج والتلفظ وصولاً للتداول والاستعمال الحداثي وما يشتمل عليه من تجديدات وتنويرات تتصل بالفكر اللساني أوجه استعمالاته في مختلف السياقات والمجالات والحقول، فما طرحه د. محمد محمد يونس علي يثري المشهد اللساني التخصصي وتشعباته المعرفية، ويوجه القدرات والإمكانات التي تمتلكها اللغة العربية بمعارفها وعلومها من أجل فهم الواقع اللغوي وحاجاته وتلبية متطلبات المستقبل اللغوي من منطلق معرفي واعٍ له أدواته وأساليبه المنهجية التي تخدم المحتوى المعرفي وتفرعاته الجديدة في ضوء معطيات مجتمع المعرفة؛ مما يؤكد على استقلالية الدرس اللغوي واللساني العربي ومعطياته في الثقافة المعاصرة.

5. خاتمة:

انتهيتُ من هذا البحث، الذي اشتمل على كثير من التحليلات حول دور الدراسات البينية في توجيه الخطاب اللساني في كتاب " علم التخاطب الإسلامي" للدكتور محمد محمد يونس علي، وتوصلتُ إلى مجموعة من النتائج والتوصيات من أهمها :

5. 1. النتائج .

- يعدُّ كتاب علم التخاطب الإسلامي إضافةً علميةً أصيلةً لها حضورها الواعي والمنهجي في الكفايات والأداءات التخصصية وغير التخصصية، التي تمازجت فيها الاستدلالات والتمثلات المعرفية والعلمية في الدراسات البينية، التي تخدم الخطاب اللساني العربي المعاصر .
- يمثل علم التخاطب الإسلامي صميم نتائج الدراسات البينية قرر فيه د. محمد محمد يونس علي علماً جديداً له مصطلحاته وتوجيهاته يجمع بين التأصيل التراثي والتفعيل الحداثي .
- قدَّم المؤلف نظريةً علميةً في إدارة المعرفة اللسانية وتحليل الخطاب وقراءة النصوص بشكل موضوعي يخدم الطرح اللساني وتفاعلاته مع مختلف دوائر اختصاصات المعرفة التراثية والحديثة .

- تضيف الدراسات البينية رصيداً معرفياً وترسانة ثقافية أمام تحولات الخطاب اللساني العربي في عصر المعرفة وانتشار العلوم والفنون والآداب.
- تمتلك اللغة العربية كنزاً معرفياً وموروثاً ضخماً له تراكماته عبر التاريخ والزمن، يشتمل على منجزات جديدة في عصرها، استطاع د. محمد محمد يونس علي استثمارها وتوجيهها؛ بما يتوافق مع معطيات الدراسات البينية الجديدة، ويخدم الأفكار المبتكرة والحلول الخلَّاقة في قراءة النص وإدارة المعرفة اللسانية في ظل تنوع المناهج وتعدد أشكالها في العصر الحديث .
- استجلى المؤلف اجتهادات القدماء على اختلاف توجهاتهم، وقدَّم أنموذجاً لسانياً يتمثل في أقوال ابن تيمية، يحلل المؤلف مقولات سلطة الكلام وتوجيهاتها اللسانية في ضوء ظروف الإنتاج والتدوال، ومناقشة الأحكام التي أُطلقت حول اجتهادات ابن تيمية، وكشف التعالقات العلمية والمعرفية في أطروحاته التي تمثل تفاعلية ذات قيمة في ميزان الدراسات البينية .
- تنوعت المقولات والتوجيهات التي ذكرها المؤلف حول طبيعة الطرح العلمي في كتاب "علم التخاطب الإسلامي"، والتأكيد على دور الدراسات البينية في توجيه الخطاب اللساني وتفاعلاته .
- أنتج د. محمد محمد يونس علي تجربةً عميقةً واعية في حقول اللسان العربي والتأصيل لعلم التخاطب الإسلامي وتفعيل معطيات المعرفة التراثية والحداثية في ممارساته التفعيلية؛ بما يضمن إنتاج المعرفة وإدارتها بشكل حكيم يعي الجزئيات ويدرك الكليات بحس منطقي حضاري وإيمان راسخ .

5.2. التوصيات .

- توسيع امتدادات علم التخاطب الإسلامي الذي ابتكر أصوله المؤلف د. محمد محمد يونس علي من الدراسات البينية، وما يشتمل عليه - هذا العلم- من مفردات وأبعاد ومعطيات، والاستفادة من تراكم الخبرة والتجربة اللسانية عند أعلام الفكر اللساني العربي الحديث.
- تنظيم قواعد وأصول الفهم المنطقي والتحكيم العلمي في إدارة معارف النصوص ومناهج تحليل الخطاب في الأبحاث والدراسات العربية الحديثة.
- عقد فعاليات علمية وأنشطة هادفة تعمق الفهم وتؤطر الممارسات في اللسانيات العربية ونصوصها الحضارية، وتستثمر معطيات المحتوي وأدواته الرقمية الجديدة.

5.3. المقترحات .

- إعداد مسرد للمصطلحات المقترحة والمتداولة في كتابات د. محمد محمد يونس علي، وسبر تجلياتها ومسانيدها المعرفية في ضوء الدراسات البينية .

6. قائمة المصادروالمراجع:

- الأشهب، خالد(2011م): المصطلح العربي البينية والتمثيل، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد .
- برجيحان وبوعمارة، ويسام وسوعاد(2018م): جهود محمد محمد يونس في صناعة مقاربة علمية في تحليل الخطاب – تحليل الخطاب وتجاوز المعنى أنموذجاً- دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة عبد الرحمان ميرة، الجزائر.
- بلعيد، صالح(2009م): دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، ط1، الجزائر.
- بنخوذ، نور الدين(د.ت): دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، منشورات جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية
- بوقرة، نعمان(2009م): اللسانيات العامة اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن.

- حمايدية، سناء(2021م): اللسانيات التمهيدية بين الكتابة العربية والكتابة المترجمة (كتاب مدخل إلى اللسانيات لمحمد محمد يونس علي، وكتاب مدخل إلى اللسانيات لبرتيل مالبرج، ترجمة: السيد عبد الظاهر أنموذجاً)، مجلة الآداب واللغات والعلوم والإنسانية، مجلد 4، عدد 7، جانفي، الجزائر.
- الحيادرة، مصطفى(2003م): من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد.
- سيليني، بسمة(2021م): الكتابة اللسانية التمهيدية وإشكالية المنهج- قراءة في كتاب مدخل إلى اللسانيات لمحمد يونس علي، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، مجلد4، عدد 7، جانفي، الجزائر.
- علوي والعناتي، حافظ وإسماعيل(2009م): أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، منشورات الاختلاف والدار العربية، ط1، الجزائر وبيروت .
- علي، محمد محمد(2004م): مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، ليبيا.
- علي، محمد محمد(2004م): مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، لبنان.
- علي، محمد محمد(2006م): علم التخاطب الإسلامي.. دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت .
- علي، محمد محمد(2016م): تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان .
- غلفان، مصطفى(2003م): اللسانيات العربية.. أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية، ط1، الأردن.
- غنية ووسيلة، بوعافية وبوالبكيز(2016م): المصطلح اللساني عند محمد محمد يونس علي، رسالة ماجستير، جامعة محمد الصديق بن يحي، الجزائر.
- لزرقي، ياقوتة(2021م): البراغماتية وعلاقتها بالحقول اللسانية- مقاربة بينية، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، مجلد 5، عدد 2، الجزائر .
- مختار، درقاوي(2011م): من العلامة إلى المعنى دراسة لسانية ودلالية لدى علماء الأصول، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر .
- مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة(2017م): الدراسات البينية، السعودية .
- المسدي، عبد السلام(2010م): مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت .
- النشار، علي (1984م): مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة العربية، ط1، القاهرة.
- الوعر، مازن(1988م): قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، دار طلاس، ط2، سوريا.